سلسلة قصص الأخلاق

١٧

قصص في الطاعة

إعداد / شعبان مصطفى قزامل

رسوم / حسين الشافعي

إخراج / علي بدوي

جميع الحقوق محفوظة

خَاتَمُ الذَّهَبِ

ذَاتَ يَوْمٍ، رَأى رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – رَجُلاً يَلْبَسُ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ، فَنَزَعَ الْخَاتَمَ مِنْ إِصْبِعِ الرَّجُلِ وَرَمَاهُ، وَقَالَ لَهُ:

« يَعْمِدُ أَحَدُكُمْ إِلَى جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِى يَدِهِ» .

فَلَمَّا انْصَرَفَ الرَّسُولُ طُلِبَ مِنَ الرَّجُلِ أَنْ يَأْخُذَ خَاتَمَهُ لِيَنْتَفِعَ بِهِ بأَنْ يَبِيعَهُ وَيَأْخُذَ ثَمَنَهُ أَوْ يُعْطِيَهُ لِزَوْجَتِهِ لأَنَّ الذَّهَبَ حَلاَلٌ لِلنِّسَاءِ حَرَامٌ عَلَى الرِّجَالِ. فَرَفَضَ وَقَالَ: لاَ وَاللَّهِ لاَ آخُذُهُ أَبَداً وَقَدْ طَرَحَهُ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

الطَّائِعَاتُ

لَمَّا نَزَلَ قَوْلُ اللهِ – عَزَّ وَجَلَّ – الَّذِى يَأْمُرُ فِيهِ الْمُؤْمِنَاتِ بِارْتِدَاءِ الْخِمَارَ (وَهُوَ ثَوْبٌ يُغَطِّي الرَّأْسَ وَفَتْحَةَ الصَّدْرِ):

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾

سَارَعَتِ الْمُؤْمِنَاتُ إِلَى تَنْفِيذِ أَمْرِ اللهِ، فَشَقَّتْ كُلُّ وَاحِدَةٍ قِطْعَةً مِنْ ثِيَابِهَا وَاخْتَمَرَتْ بِهَا تَصْدِيقًا وإِيـــمَانًا بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِي كِتَابِهِ.

وَكَانَ الرَّجُلُ مِنَ الصَّحَابَةِ إِذَا أَخْبَرَ نِسَاءَهُ وَبَنَاتَهُ بِهَذِهِ الآيَةِ يُسَارِعْنَ إِلَى تَنْفِيذِ أَمْرِ اللهِ.

تَقُولُ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ – رَضِيَ اللهُ عَنْهَا –: يَرْحَمُ اللهُ نِسَاءَ الْمُهَاجِرَاتِ الأُوَلِ، لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ فَشَقَقْنَ مُرُوطَهُنَّ (الْمِـــرْطُ: كِسَاءٌ تَلُفُّهُ الْمَرْأَةُ حَوْلَ رَأْسِهَا) فَاخْتَمَرْنَ بِهَا.

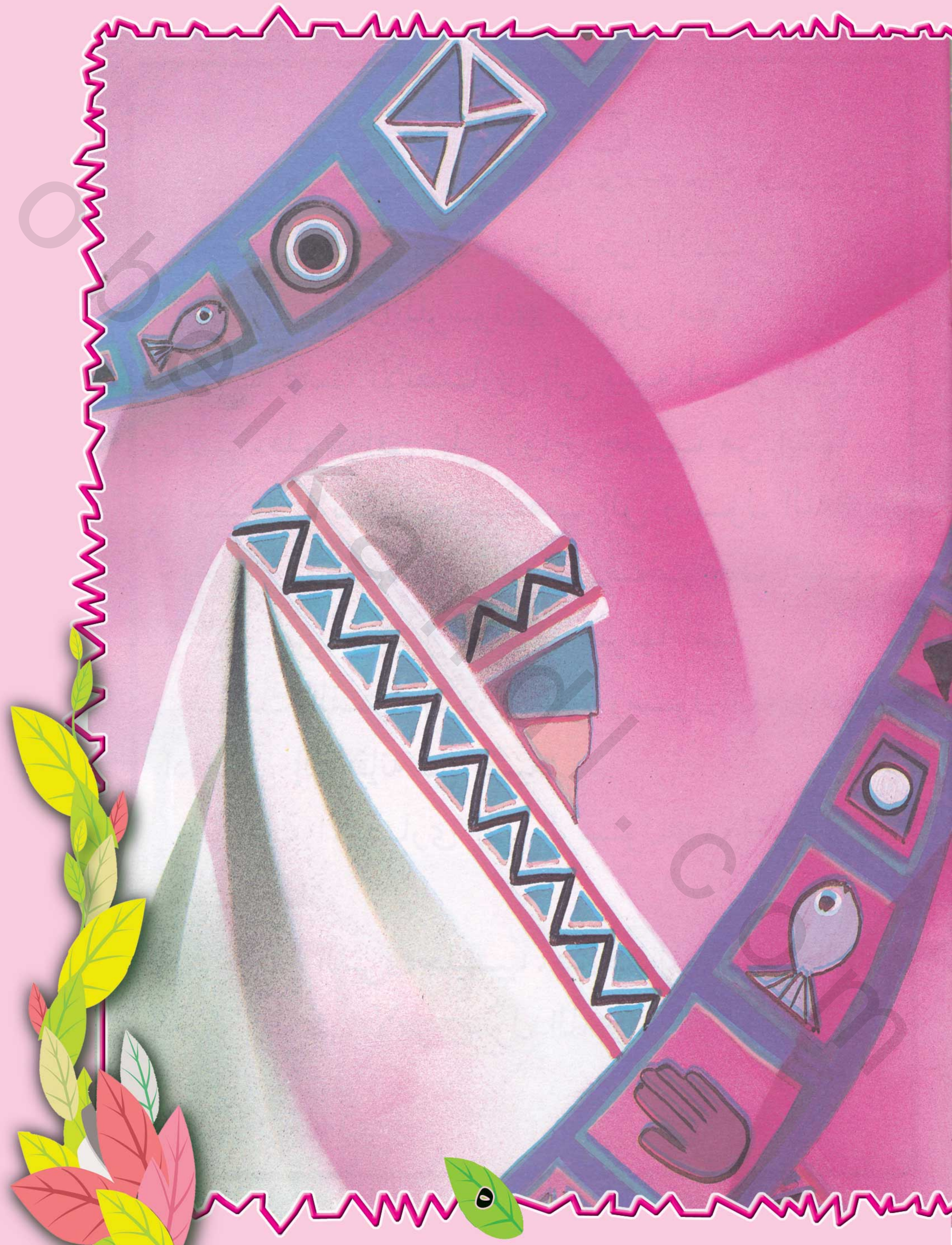

طَاعَةٌ وَزَوَاجٌ

كَانَ جُلَيْبِيبٌ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – رَجُلاً فَقِيرًا، فَخَطَبَ لَهُ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ابْنَةَ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، فَتَرَدَّدَ الأَنْصَارِيُّ، وَقَالَ لِلرَّسُولِ: أُشَاوِرُ أُمَّهَا.

فَلَمَّا ذَهَبَ الأَنْصَارِيُّ إِلَى بَيْتِهِ أَخْبَرَ امْرَأَتَهُ بِالأَمْرِ، فَلَمْ تُوافِقْ عَلَى زَوَاجِ جُلَيْبِيبٍ مِنْ ابْنَتِهَا.

فَقَامَ الأَنْصَارِيُّ لِيَذْهَبَ إِلَى رَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَيُخْبِرُهُ بِمَا قَالَتْ أُمُّ الفَتَاةِ، فَخَرَجَتِ البِنْتُ وَقَالَتْ: مَنْ خَطَبَنِي إِلَيْكُمْ؟ فَأَخْبَرَتْهَا أُمُّهَا، فَقَالَتِ الفَتَاةُ: أَتَرُدُّونَ عَلَى رَسُولِ اللهِ أَمْرَهُ! ادْفَعُونِي إِلَيْهِ فَإِنَّهُ لَنْ يُضَيِّعَنِي.

فَذَهَبَ الأَنْصَارِيُّ إِلَى الرَّسُولِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَأَخْبَرَهُ بِمَا قَالَتِ الفَتَاةُ.

فَزَوَّجَهَا النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – جُلَيْبِيبًا، فَبَارَكَ اللهُ لِهَذِهِ الفَتَاةِ لِحُسْنِ طَاعَتِهَا لِرَسُولِ اللهِ .

فَضِيلَةُ الطَّاعَةِ

كَانَ جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ يُقَاتِلُ جَيْشَ الرُّومِ فِي بِلَادِ الشَّامِ بِقِيادَةِ خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ – رَضِي اللهُ عَنْهُ –، فَأَرْسَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بنُ الْخَطَّابْ – رَضِي اللهُ عَنْهُ – رِسَالَةً إِلَى خَالِدٍ مَعَ أَبِي عُبَيْدَةَ بنِ الْجَرَّاحِ – رَضِي اللهُ عَنْهُ –، يَأْمُرُهُ فِيهَا أَنْ يَتْرُكَ قِيَادَةَ الْجَيْشِ، وَيُسَلِّمَهَا لأَبِي عُبَيْدَةَ.

فَلَمَّا وَصَلَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى الشَّامِ وَجَدَ أَنَّ الْمَعْرَكَةَ مَعَ الرُّومِ قَدْ بَدَأَتْ، فَانْتَظَرَ حَتَّى انْتَهَى القِتَالُ وَانْتَصَرَ الْمُسْلِمُونَ، ثُمَّ سَلَّمَ الرِّسَالَةَ لِخَالِدٍ – رَضِي اللهُ عَنْهُ –.

فَلَمَّا قَرَأَ خَالِدٌ الرِّسَالَةَ لَمْ يَتَرَدَّدْ لَحْظَةً فِي طَاعَةِ الْخَلِيفَةِ، وَتَنْفِيذِ أَمْرِهِ، وَسَلَّمَ أَبَا عُبَيْدَةَ قِيَادَةَ الْجَيْشِ. وَصَارَ خَالِدُ جُنْدِيًّا وَلَمْ يَمْنَعْهُ عَزْلُه مِنْ قِيَادَةِ الْجَيْشِ مِنْ مُواصَلَةِ الْجِهَادِ.

وَهَكَذَا كَانَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ – رَضِي اللهُ عَنْهُ – نُمُوذَجًا حَسَنًا لِطَاعَةِ الْمُسْلِمِ لأَمِيرِهِ، وَالامْتِثَالِ لأَوَامِرِهِ.

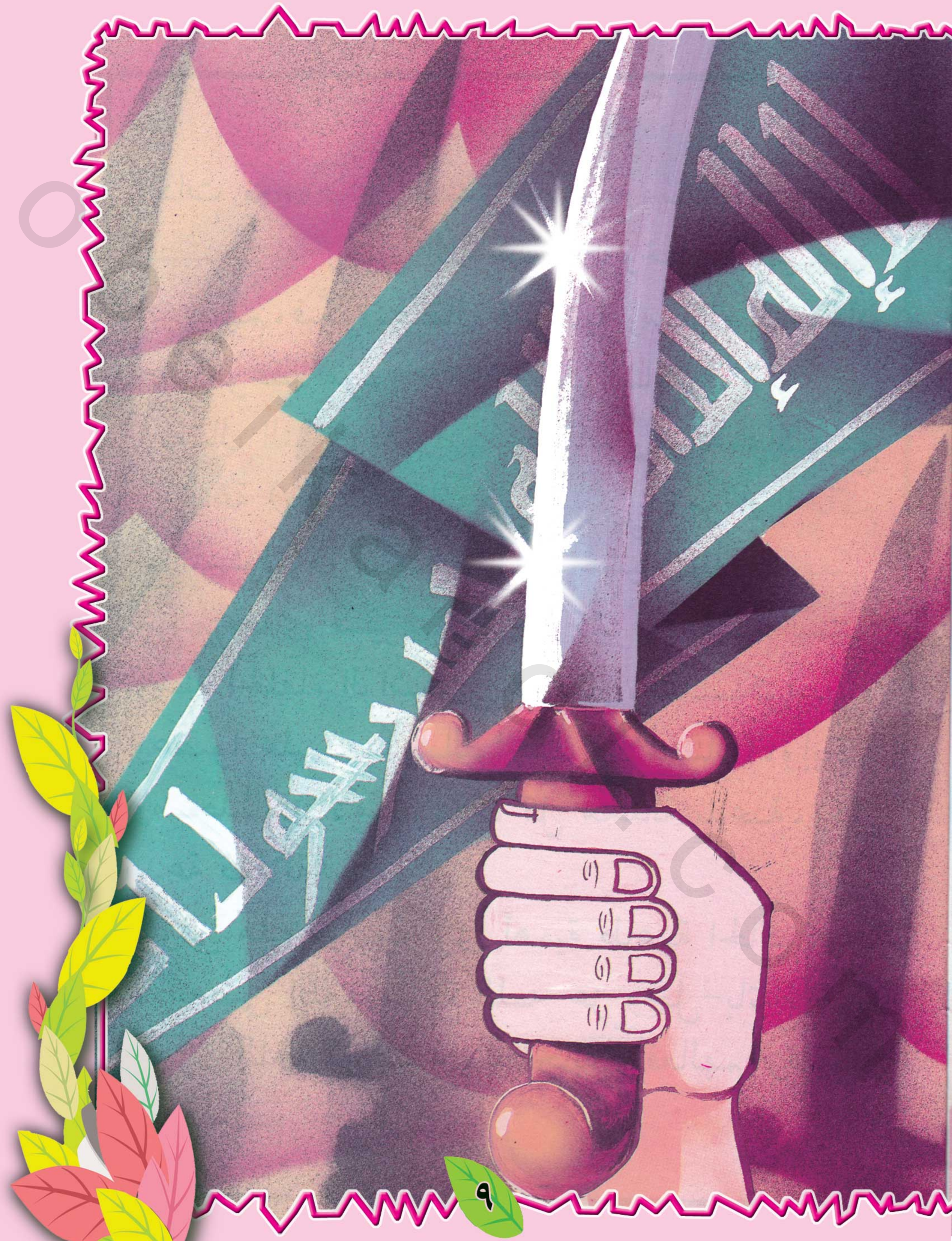

الأَمِيـــــرَانِ

اخْتَارَ رَسُولُ الله – صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَمْرِو بنَ العَاصِ – رَضِيَ الله عَنْهُ – لِيَكُونَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ فِي مَوْقِعَةِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ، فَلَمَّا وَصَلَ عَمْرُو بِالْجَيْشِ وَرَأَى كَثْرَةَ الأَعْدَاءِ، أَرْسَلَ إِلَى النَّبِيِّ يَطْلُبُ مِنْهُ مَدَدًا.

فَأَرْسَلَ الرَّسُولُ مَدَدًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ بِقِيَادَةِ أَبِي عُبَيْدَةَ بنِ الْجَرَّاحِ – رَضِيَ الله عَنْهُ – وَأَمَرَهُ أَلَّا يَخْتَلِفَ مَعَهُ.

فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدَدُ عَلَى عَمْرٍو قَالَ لَهُمْ: أَنَا أَمِيرُكُمْ. فَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ: بَلْ أَنْتَ أَمِيرُ أَصْحَابِكَ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ أَمِيرُنَا. فَقَالَ عَمْرٌو: إِنَّمَا أَنْتُمْ مَدَدٌ مُدِدْتُهُ. فَلَمَّا رَأَى أَبُو عُبَيْدَةَ إِصْرَارَ عَمْرٍو عَلَى مَوْقِفِهِ تَذَكَّرَ وَصِيَّةَ الرَّسُولِ أَلَّا يَخْتَلِفَ مَعَهُ، فَقَالَ لَهُ: تَعْلَمُ يَا عَمْرٌو أَنَّ آخِرَ مَا عَهِدَ إِلَيَّ رَسُولُ الله أَنْ قَالَ: "إِذَا قَدِمْتَ عَلَى صَاحِبِكَ فَتَطَاوَعَا"، وَإِنَّكَ إِنْ عَصَيْتَنِي لأُطِيعَنَّكَ، ثُمَّ أَبُو عُبَيْدَةَ تَرَكَ الإِمَارَةَ لِعَمْرٍو خَشْيَةَ أَنْ يَعْصِي رَسُولَ الله أَوْ تَحْدُثُ فِتْنَةٌ فِي جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ.

ضَوَابِطُ الطَّاعَةِ

اخْتَارَ الْمُسْلِمُونَ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – خَلِيفَةً لِلرَّسُولِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، فَقَامَ لِيَخْطُبَ فِي الْمُسْلِمِينَ؛ فَحَمِدَ اللهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ:

(أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنِي قَدْ وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ، فَإِنْ أَحْسَنْتُ فَأَعِينُونِي، وَإِنْ أَسَأْتُ فَقَوِّمُونِي. الصِّدْقُ مَنْجَاةٌ، وَالكَذِبُ خِيَانَةٌ. وَالضَّعِيفُ مِنْكُمْ قَوِيٌّ عِنْدِي حَتَّى أُزِيحَ عِلَّتَهُ (أُزِيلَ شِدَّتَهُ وِمِحْنَتَهُ) إِنْ شَاءَ اللهُ، وَالقَوِيُّ فِيكُمْ ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَ مِنْهُ الْحَقَّ إِنْ شَاءَ اللهُ، لَا يَدَعُ قَوْمٌ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ إِلَّا ضَرَبَهُمُ اللهُ بِالذُّلِّ، وَلَا يُشِيعُ قُوْمٌ قَط الفَاحِشَةَ إِلَّا عَمَّهُمُ اللهُ بِالبَلَاءِ، أَطِيعُونِي مَا أَطَعْتُ اللهَ وَرَسُولَهُ، فَإِذَا عَصَيْتُ اللهَ وَرَسُولَهُ فَلَا طَاعَةَ لِي عَلَيْكُمْ).

وَهَكَذَا وَضَّحَ أَبُو بَكْرٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – لِلْمُسْلِمِينَ ضَوَابِطَ طَاعَةِ وَلِيِّ الأَمْرِ فِي ظِلِّ طَاعَةِ اللهِ.

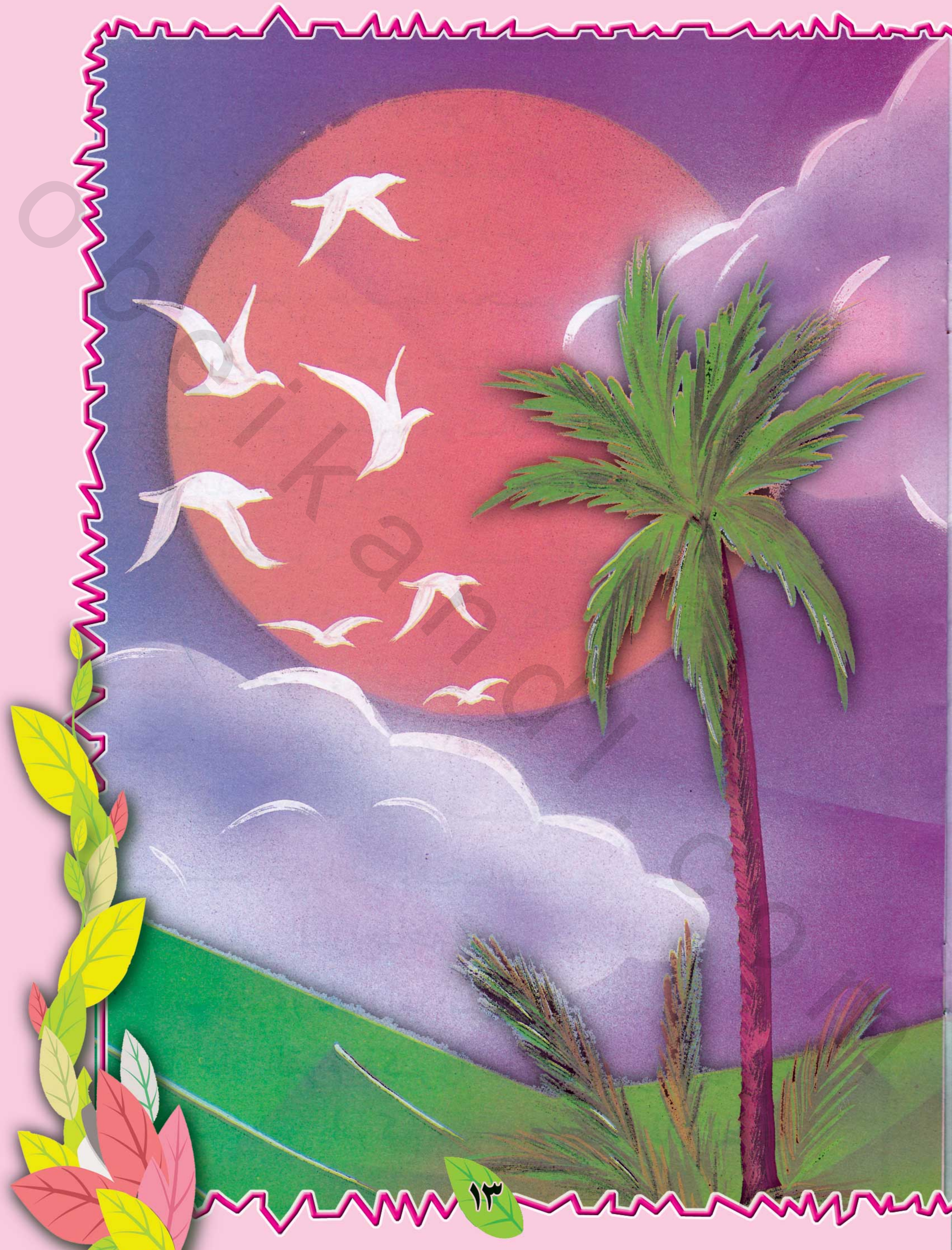

الأَمِيرُ وَالنَّارُ

أرْسَلَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَلْقَمَةَ بنَ مُحْرِزٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَائِدًا عَلَى سَرِيَّةٍ (جُزْءٍ مِنَ الْجَيْشِ) وَفِي الطَّرِيقِ، أرْسَلَ عَلْقَمَةُ مُجْمُوعَةً مِنَ الْجَيْشِ إلَى جِهَةٍ أُخْرَى، وَجَعَلَ عَبْدَ اللهِ بنَ حُذَافَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – أمِيـــرًا عَلَيْهِمْ، وَكَانَ عَبْدُ اللهِ رَجُلاً مَرِحًا يُحِبُّ الدُّعَابَةَ وَالْمِزَاحِ.

وَأثْنَاءِ الطَّرِيقِ، تَوَقَّفَ عَبْدُ اللهِ وَمَنْ مَعَهُ وَنَزَلُوا لِيَسْتَرِيحُوا فَأوْقَدُوا نَارًا، وَكَانَتْ فُرْصَةٌ لِعَبْدِ اللهِ لِيُمَارِسَ بَعْضَ مُدَاعَبَاتِهِ، فَقَالَ لِمَنْ مَعَهُ: أَلَيْسَ لِي عَلَيْكُمُ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ؟ قَالُوا: بَلَى.

وَهُنَا فَاجَأَ عَبْدُ اللهِ الْجَمِيعَ بِأنْ أمَرَهُمْ أنْ يُلْقُوا بِأنْفُسِهِمْ فِي النَّارِ. فَقَامَ بَعْضُ النَّاسِ لِيَفْعَلُوا ذَلِكَ طَاعَةً لأمِيرِهِمْ. فَلَمَّا رَأى الأمِيرُ ذَلِكَ مَنَعَهُمْ، وَقَالَ: إنَّمَا كُنْتُ أضْحَكُ مَعَكُمْ.

فَلَمَّا عَادَ القَوْمُ ذَكَرُوا مَا حَدَثَ لِرَسُولِ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَقَالَ لَهُمْ:

"مَنْ أَمَرَكُمْ مِنْهُمْ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا تُطِيعُوهُ".

وَصِيَّةٌ بِالطَّاعَةِ

صَلَّى النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الصُّبْحَ، ثُمَّ تَوَجَّهُ إِلَى الصَّحَابَةِ، وَخَطَبَ فِيهِمْ، وَوَعَظَهُمْ، فَبَكُوا. فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةَ مُوَدِّعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟

فَقَالَ: "أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ (يَقْصِدُ بِذَلِكَ طَاعَةَ وَلِيِّ الأَمْرِ أَوِ الْحَاكِمِ أَوِ الْمَسْئُولِ)، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، فَتَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ (الأَسْنَانِ)، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدِثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ".